هل المؤتمر الأول للحوار العربي ـ الكردي عام ١٩٩٨ خطوة صحيحة؟

عابدين كاردوخي

الحوار العربي ـ الكردي: ثلاث مراحل

يمكن القول إنّ دورة الحوار الكردي – العربي مرّت بثلاث مراحل من تاريخها المشترك: مرحلة الدولة الإسلامية، فمرحلة الدولة العثمانية، فمرحلة الدولة القومية

ففي ظل الدولة الإسلامية دَخَلَ الشعبان الجاران بوتقةَ حضارة الإسلام التي أوجدتْ بينهما قواسمَ مشتركةً على أرضية «لا فرقَ لعربي على أعجمي إلا بالتقوى » لقد أبدع هذا النظامُ عالمًا حضاريًا شارك في تأسيسه العربُ والكردُ والفرسُ والتركُ وغيرُهم ومن خلال هذا النموذج حققت الأمةُ الإسلاميةُ انتصارات وفتوحات يَذْكرها التاريخ، بالإضافة إلى تقدم في كل المجالات رغم تعدد الدول التي قادت هذه الأمةَ من أموية وعباسية وأيوبية وغير ذلك.

وفي ظل الدولة العثمانية، استمرّ النهجُ السابقُ في العلاقة الأخوية الإسلامية كما كانت في السابق، حتى القرن التاسع عشر. ثم وصلتْ نتائجُ الثورة الصناعية إلى الشرق، فتمّ تحديثُ آليات الإنتاج، ودخلتْ مفرداتُ الدولة القومية على الطريقة الألمانية أو الفرنسية أو الايطالية، فغدت هذه الأفكارُ منهلاً للقوميين الأتراك في اضطهاد الشعوب العثمانية غير التركية، على نحوِ ما فعلتْ «جماعةُ الاتحاد والترقّي »

ولمواجهة السياسة الطورانية بدأت الشعوبُ الأخرى تسعى نحو الاستقلال أو الحكم الذاتي للحفاظ على خصوصيتها القومية. وكانت بذرةُ الحوار العربي ـ الكردي في تلك المرحلة هي العمل باتجاهِ نظامٍ يستطيع استيعابَ التنوع القومي في إطار الدولة الإسلامية، وكان من روّادها العلاّمة عبد الرحمن الكواكبي الذي دعا في كتابه الشهير **أمّ القرى** إلى صياغة أخرى للدولة الإسلامية. إلاّ أنّ خطط الدول الإمبريالية آنذاك قتلتْ هذا الطرحَ بأنْ قامت بتفتيت إمبراطورية «الرجل المريض» وفق مصالحها الإستراتيجية. فقد عمدتْ دولُ الشمال المنتصرة في الحرب العالمية الأولى، وعلى رأسها فرنسا وبريطانيا، إلى تقسيم أراضي الشعوب العثمانية إلى دول وكيانات جديدة، دون أن تأخذ بعين الحسبان رأيَ شعوبها، الأمرُ الذي خلقَ سباقًا بين شعوب الإمبرطورية السابقة لإيجاد كياناتها القومية، وكان من نتيجة ذلك الافتراقُ في المسيرة المشتركة بين العرب والكرد. فاستطاع العربُ إقامةَ كيانات عربية، في حين خرج الكردُ من هذه المسيرة بخفَّيْ حُنَيْن وضُربتْ آمالُهم المعقودةُ في معاهدة سيڤر ١٩٢٠ عندما استطاع مصطفى كمال بميكياڤيليته ضَرْبَ الطموح الكردي بفرض معاهدة لوزان عام ١٩٢٣، وصار بعدها الكردُ موزَّعين في أربعة كيانات جديدة. تركيا ـ إيران ـ العراق ـ سورية.

بعدها أخذ الحوارُ العربي ـ الكردي طريقًا متعرجًا، تارةً يتقدم في مواجهة الإنكليز والفرنسيين وطَرْدهم من سورية والعراق، وتارةً يخفت عندما يتم تجاهُلُ الوجود القومي الكردي بل وإنكارُهُ في بعض الأحيان بعد أن سيطرت القوى القوميةُ التي تستلهم نموذَجها من الفاشية الإيطالية والنازية الألمانية على مقدِّرات بعض البلاد العربية.

أهمية الحوار الكردي ـ العربي

رُبّ سائل: هل هناك أهمية لإقامة حوار كردي ـ عربي؟ الجواب هو: نعم. فبالرغم من أنّ العرب استطاعوا خلقَ كياناتهم القطرية، وتحقيقِ بعض الاستقلال، وأن يكونوا أعضاء في الأمم المتحدة، وأن يوجِدوا قوانينَ ومنظوماتٍ سياسيةً لهم، فإنّ العروبة كمفهوم حضاري ظلت أسيرةَ الأفكار القومية الضيقة التي أشرنا إليها. ومن ثمّ لم يستطع العرب تحقيقَ خطوات متقدمة في العديد من القضايا التي تواجههم، وأهمُّها

١ ـ لاتزال القضيةُ المركزية «فلسطين» بدون حل عادل، ولا يزال الاحتلالُ جاثمًا على صدر الشعب الفلسطيني

٢ ـ عدمُ تحرير الأراضي العربية المحتلة، سواء في شرق البحر الأبيض المتوسط أو في شمال أفريقيا

٣ ـ عدمُ معالجة المسألة الكردية في بلديْن عربييْن هما العراق وسورية، بوصفها قضيةَ شعبٍ له حقُّ الحياة والمساواة. كما لم

هل المؤتمر الأول للحوار العربي ـ الكردي عام ١٩٩٨ خطوة صحيحة؟

تتم المعالجة النهائية لمسألة القوميات والجماعات الأخرى التي تتعايش مع الشعوب العربية ـ كالبربر في شمال أفريقية، والزنوج في جنوب السودان ـ بحجة أنّ مطالب هذه المجموعات تهدِّد أمن الأمة العربية. والحال أنّ عدم حل هذه القضايا يستنزف طاقات الشعب العربي ويعقِّد دورَها بالمشاركة في قضايا التنمية والديمقراطية.

٤ ـ الانزواء أمام التحدّيات التي تواجه البشريةَ في القرن الحادي والعشرين، ومن أهمها تحدِّي «العولمة» التي وَضَعَت الشخصيةَ القُطْريةَ العربيةَ مع الأكراد والبربر والأفارقة في سلّة واحدة. إنّ غول العولمة يفتح فكَّيْه المتوحشين لسلب كلّ الشعوب والأمم الضعيفة شخصيتَها وهويتَها، بحيث تصبح العولمة سمةَ القومية السائدة والأمة السائدة على المستوى العالمي.

مؤتمر الحوار العربي ـ الكردي الأول

في أيار (مايو) ١٩٩٨ عُقد مؤتمرُ الحوار الكردي ـ العربي الأول في القاهرة. وقد تمّ ذلك على خلفية انتهاء الحرب الباردة بين الشرق والغرب، وسقوطِ جدار برلين، والتغيير الذي طرأ على خارطة التحالفات الإقليمية والدولية إثر حرب الخليج الثانية. وكانت إحدى هذه النتائج بروز السلطة الكردية في كردستان ـ العراق بعد انتفاضة ربيع ١٩٩١، ودعوتها إلى إطار فيدرالي يَحْكم العراق. كما أخذ الكفاحُ الكردي في تركيا منحًى دمويًا دراماتيكيًا أضِفْ إلى ذلك قبولَ العرب بمشروع مؤتمر مدريد لحلّ الصراع العربي ـ الإسرائيلي، فصارت الدعوةُ إلى نظرة عقلانية لقضايا المنطقة وشعوبها حاجةً ضروريةً وكانت إحدى خطوات هذه العقلانية الدعوة إلى تلاقٍ وحوارٍ كردي ـ عربي في القاهرة، وبمشاركة مفكرين وكتّاب عرب وكرد ورغم الضغوط والصعوبات التي وُضعتْ أمام المؤتمر من قِبل القوى المسيطرة على مقاليد الحكم فيَ بعض البلدان العربية فقد أقيم المؤتمر... وإنْ بشكلٍ خجول.

لم يأخذ المؤتمر حقَّه الكاملَ في الإعلام العربي الرسمي، في حين كان هناك إجماع كردي على الترحيب بإقامته رغم ملاحظات محقّةٍ قدّمتْها أطرافٌ مهمةٌ من أكراد سورية وتركيا تدعو إلى أن يكون المؤتمر كرديًا ـ عربيًا شاملاً. ومن خلال متابعة التحضيرات التي تمّت ومراقبةِ أجواء المؤتمر، نلاحظ وجودَ موقفيْن عربييْن تجاه القضية الكردية.

أ ـ الموقف المشكّك: ينطلق هذا الموقف من أسس إيديولوجية مازالت تعيش في الماضي، ويعتمد في جوهره على نظرية المؤامرة، وعدم الاعتراف بحق تقرير المصير، والتشكيك بالجار ووصفِ مطالبه بأنّها مدفوعة من الآخرين. وفي هذا الصدد يتحدّث سيّد نصار، الكاتب والصحفي بجريدة **أكتوبر** المصرية، عن التاريخ فيذكّر بأنّ العرب استخدموا الأكرادَ في ضرب الصليبيين، واستخدم الفرسُ الأكرادَ لضرب الإغريق والروس، واستخدمهم الإسلامُ لضرب الساسانين، كما استخدمهم الأتراكُ لضرب الأرمن [١] وكان طبيعيًا أن يساهم النظامُ العراقي السابق في التشكيك بالمؤتمر، إذ أرسل صلاح المختار، رئيسُ «مجلس السلم والتضامن» العراقي، رسالةً قال فيها: «إنّ توقيت الدعوة إلى الحوار غيرُ مناسبة، كونه يتزامن مع الاستخدام الأميركي ـ البريطاني للورقة الكردية ضد العراق في مسعى لتقسيم البلد »[٢] كما أنّ بعض العراقيين الذين لم يستوعبوا الدروسَ من مآسي الماضي أصرّوا على أسْر الأكراد، وإنْ كانوا مختلفين مع النظام: فالكاتب عبد الأمير الركابي، مثلاً، ينتقد الحكومة المصرية ويقول. «السماح لممثلي القوى الكردية المسلحة بفتح مكاتب لهم في القاهرة باعتبارهم أكرادًا يعني نوعًا من تكريس الأمر الواقع باعتبارهم حكومة كردية »[٣]

١ ـ عدنان المفتي (معدّ)، **الحوار العربي ـ الكردي** (القاهرة مكتبة مدبولي، ١٩٩٩)، ص ١٠٧ وكذلك مجلة **روز اليوسف** المصرية، ١٩٩٨/٦/١

٢ ـ صحيفة **الحياة**، ١٩٩٨/٥/٢٢

٣ ـ عبد الأمير الركابي، «حوار عربي مقطوع الجذور،» صحيفة **القدس العربي**، ١٢/ ١٩٩٨/٦

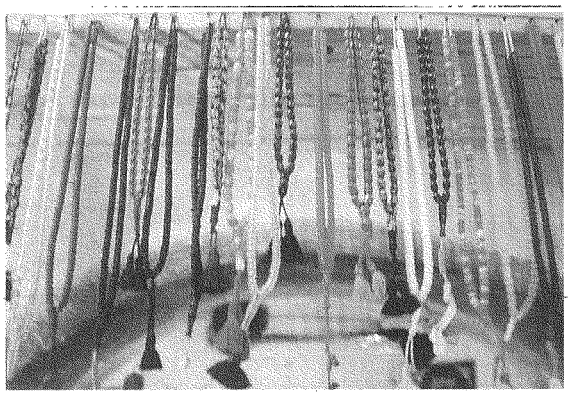
مسابح معروضة للبيع في أسواق السليمانية

ومن المؤسف أيضًا تجاهُلُ العديد من الأحزاب القومية المصرية الدعوةَ إلى حضور المؤتمر. فقد وَجّهت اللجنةُ المنظِّمةُ الدعوةَ إلى ١٣ حزبًا سياسيًا علنيًا في مصر، ولكنْ وحْدهما رئيسُ حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي السيد خالد محي الدين والأمينُ العام السيد رفعت السعيد حضرا جلسةَ الافتتاح وغادرا بعد انتهاء الجلسة. وقال عبد الله إمام رئيس تحرير صحيفة **العربي** الناصرية آنذاك: «إنّ القيادات الكردية في العراق وَضعتْ يدَها في يد الأمريكان لتصفية الحسابات مع الحكومة العراقية.»[١] ولم تبالِ تلك الصحيفة بأعمال المؤتمر، بل كانت حبةُ القياغرا تَشْغلها أكثرَ منه، إذ نَشَرَتْ تحقيقًا بنصف صفحة عن هذه الحبة متجاهلةً أعمالَ المؤتمر والمداخلاتِ التي تجري على أرض مصر في القاهرة ! وأما إبراهيم شكري رئيس حزب العمل المصري فقال: «إنّ القضية الأساسية التي يجبْ أن نتصدّى لها هي المؤامرة الأمريكية والغربية على العراق والأمة العربية. أما المسألة الكردية فهي في تقديري موضوع داخلي لا يُمْكن حلُّه بمعزل عن الحوار السياسي والاتصالات المباشرة بين الحكومة العراقية والأكراد.»[٢]

ب ـ الموقف المتفهم والمتضامن: قُدِّم خلال أيام المؤتمر العديدُ من المداخلات الإيجابية القيِّمة التي تفتح آفاقًا واسعةً للحوار بين الكرد والعرب، ومنها.

• مداخلة د نادية الشاذلي، وهي دراسة رصينة معتدلة تمثِّل الفكرَ الديمقراطي والليبرالي العربي البعيدَ عن الشعارات، ودعوةً إلى الدول المجاورة للعراقَ للكفّ عن مهاجمة التجربة الديمقراطية في كردستان ـ العراق [٣]

• مداخلة د محمد السيد سعيد، نائبِ رئيس مركز الدراسات الاستراتيجية بالأهرام. فقد دعا إلى موقف ديموقراطي من قضية الأقليات القومية، واعتَبَرَ إنكارَ الحق الكردي موقفًا فاشيًا. وناشد العربَ عدمَ كيل المواضيع بمكيالين «فنحن ندعو إلى استقلال ذاتي وموسَّع لإخوتنا في كوسوڤو وفي البوسنة والهرسك، ولكنّنا نُنْكر على الشعب الكردي حقَّ تقرير المصير وهذا الموقف يتفق مع الموقفيْن الفاشيّيْن التركي والعربي.»[٤]

• مداخلة رجائي فايد، وهو كاتب مصري وعضو اللجنة التحضيرية للمؤتمر. فقد قال إنّ هناك «خطورة متزايدة على الأمن القومي العربي نتيجةَ بقاء المشكلة الكردية بدون حل. والأكراد أصحابُ حق، وعلينا أن نساعدهم في الحصول على حقهم في إطار وحدة وسلامة وسيادة العراق.»[٥]

• كما قُدّمتْ مساهمات إيجابية أخرى مثل مساهمات الأستاذ محمد علي السباهي (وهو شخصية عراقية مستقلة)، والدكتور حامد محمود عيسى (وهو أستاذ جامعي مصري)، والدكتور خليل العطية (وهو شخصية عراقية مقيمة في باريس)، والدكتور عبد الحسين شعبان (وهو باحث عراقي)

تعقيب على أعمال المؤتمر

يلاحظ المتابِع لأعمال المؤتمر ما يلي:

١ ـ كان الحضور العربي نادرًا وضعيفًا، بعكس الحماس والمشاركة الكرديين ورغم استبعاد أكراد سورية من حضور المؤتمر، فإنهم تحمَّسوا لهذه الخطوة، وأَرْسلتْ مجموعةٌ من الشخصيات الثقافية والاجتماعية والعلمية الكردية السورية برقيةَ تأييدٍ وتضامنٍ إلى المؤتمر [٦] كما تخلَّف العديدُ من

١ ـ مجلة **الأوج** (قبرص)، العددان ١١ ـ ١٢/ ١٩٩٨، ص ٢٤
٢ ـ المصدر السابق، ص٢٤
٣ ـ **الحوار العربي ـ الكردي**، مصدر سابق، ص ٥٢ ـ ٥٨
٤ ـ المصدر السابق، ص ٥٨
٥ ـ المصدر السابق، ص١١٤ و١٢٨
٦ ـ انظر مجلة **الحوار** (القامشلي/سوريا)، العدد ٢١، خريف ١٩٩٨، صفحة ٥٥

هل المؤتمر الأول للحوار العربي ـ الكردي عام ١٩٩٨ خطوة صحيحة؟

الشخصيات العربية دون مبرِّر، أمثال د. جمال الأتاسي، والفنان دريد لحام، والدكتور حامد خليل [١]

٢ ـ يُمْكن تسمية مؤتمر القاهرة الأول بمؤتمر الحوار الكردي العراقي ـ العربي؛ فهو لم يكن كرديًا **شاملاً** مع العرب. بل يُمْكن تسميتُه حوارًا بين الحزبين الكرديين (الحزب الديموقراطي الكردستاني بزعامة مسعود البارزاني والاتحاد الوطني الكردستاني بزعامة جلال طالباني) وبعض العرب والعراقيين

٣ ـ كان ثمة تعتيم إعلامي فُرض على جلسات المؤتمر من قبل وسائل الإعلام العربية والمصرية، وبخاصة المرئية [٢]

٤ ـ لم يتمّ التحدث عن جرائم النظام العراقي في كردستان. وكان المبرِّر هو عدم تحويل الحوار إلى منبر لمعاداة النظام العراقي [٣]

لقد مضت أكثرُ من خمس سنوات على المؤتمر الأول (أواخر أيار ١٩٩٨) ولم يتم التحركُ الجدي حتى الآن لإقامة المؤتمر الثاني. ترى هل فترتْ إرادةُ الأكراد من التجاهل العربي لمسألة الحوار؟ أم أنّ العرب لم يعودوا متحمّسين للحوار بل واصلوا نهجهم التقليدي في العزلة والتغنّي بالأمجاد الماضية والنظر إلى الآخرين نظرةً دونيةً، فاتحين الطريقَ أمام الآخرين للتدخل في شؤون المنطقة؟ لقد كان مقررًا أن يُعقَدَ المؤتمرَ الثاني في إحدى العواصم العربية، ولكنْ إذا كانت أبوابُ العواصم العربية موصدةً، فلماذا لا يُعقد في أربيل، عاصمةِ إقليم كردستان ـ العراق؟

إنّ منطقتنا، الشرق الأوسط، هي من المناطق الاستراتيجية في السياسات الدولية. وهناك سباق محموم من جانب القوى الإمبريالية للسيطرة عليها ونهب خيراتها وإثارة المشاكل بين شعوبها. وكي نتمكن من تخفيف الأضرار الناجمة عن هذا الهجوم، فإنّ من الضروري الاستمرار في عملية الحوار، وذلك بإزالة الالتباس الذي وضعتْه القوى ذاتُ الأفق الضيق من الجانبيْن ويُمْكن أن يأخذ الحوار أشكالاً مختلفة نحو الأمام، ومنها:

أ ـ فتحُ المنابر الإعلامية والثقافية حول القضايا العربية والكردية بين الجانبين، وعرضُها أمام الرأي العام والنخب الثقافية والسياسية والاجتماعية.

ب ـ الاعترافُ بالآخر، والنظرُ إلى القضية الكردية كقضية شعب جارٍ داعمٍ للعرب، له الحقُّ في تقرير المصير، وأن يَنْظر الكردُ بدورهم إلى العرب بوصفهم أمةً تتوق إلى الوحدة وإلى تحرير أراضيها المحتلة والعيشِ بأمان مع جيرانهم ـ وفي مقدمتهم الكرد ـ على أرضية القواسم المشتركة وضمن حدود الاحترام المتبادل.

ج ـ الحوارُ الثقافي والأدبي من خلال ترجمة الأعمال الأدبية والفكرية الكردية إلى العربية، وتعريفِ العرب بالأكراد كشعب له خصوصيتُه القومية وكأمّةٍ ذات تاريخ وحضارة. وكذلك ينبغي تعريفُ الكرد بالحضارة العربية، وبدور العرب الكبير في العديد من المحطات الأساسية في تاريخ البشرية، دون نظرات شوفينية أو عنصرية من الجانبين.

د ـ تشكيلُ لجنة صداقة كردية ـ عربية، وتشجيعُ الجمعيات والمؤسسات ورجال الأعمال العرب على الإسهام في إعمار كردستان، وإدراجُ اللغة الكردية في أقسام اللغات في الجامعات العربية.[٤]

إنّ طريق الحوار الكردي ـ العربي مازال في خطواته الأولى. وهناك حاجة ضرورية إلى تحرك الجانبين للاستفادة من الوقت الضائع والعملِ لتحريك المياه الراكدة، وذلك بإرساء العلاقات الصحيحة بين الشعبين الجاريْن.

عابدين كاردوخي

كاتب كردي

---

١ ـ صحيفة **الشرق الأوسط**، ٢٥/ ١٩٩٨/٥

٢ ـ ٣ ـ د. محمود عثمان، «حوار ناقص،» صحيفة **الحياة**، ١٩٩٨/٦/٢١

٤ ـ **الحوار العربي ـ الكردي**، مصدر سابق، من كلمة السيد محمد فرج عزيز، ص ١٤٦